

## خطورة التهدة في ظل ارتجالية التكتيك وغياب الاستراتيجية



11 نوفمبر 2018 - 06:42

د. عبير عبد الرحمن ثابت

في ظل حالة الترهل السياسي لمنطقتنا العربية وموقعها على هامش محاور اتخاذ القرار الإقليمي والدولي؛ والتي أصبحت فيه منفذة لسياسات مقرة سلفا من وراء الحدود؛ علينا قراءة الواقع السياسي للصراع الفلسطيني الإسرائيلي واستشراف المستقبل، ولا ينبغي على أي فلسطيني أن يخدع نفسه وشعبه وأن يسوق أي رواية استشرافية مشرقة لمستقبل القضية الفلسطينية أو حتى للأوضاع الانسانية للشعب الفلسطيني؛ فأى رواية من هذا القبيل إنما تدل على ضحالة الفكر السياسي لمردها، فالقضية الفلسطينية اليوم ومعها حقوق الشعب الفلسطيني تخضع لمزاد التصفية ومن يرى عكس ذلك فهو مصاب بعمى سياسي خطير.

فقطار التسوية الأمريكي الجبري يسير بسرعة محسوبة، وبعد انتهاء المرحلة الأولى بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس والاعتراف بها كعاصمة لإسرائيل وبدء تجفيف المصادر المالية لوكالة الغوث؛ فمن الواضح أننا انتقلنا إلى المرحلة الثانية وهي التطبيع العربي الذي يبدو جماعيا مع إسرائيل عبر صفقات عسكرية ومشاريع اقتصادية؛ وهذا تطور كبير في العلاقات العربية الإسرائيلية سيكون له ما بعده ومن الواضح أن ما يظهر لنا في هذا الصدد ليس إلا قمة جبل الثلج.

ولكن في المقابل علينا أن نعترف نحن الفلسطينيون أننا نمتلك إزاء ما يجري من تدهور لقضيتنا ما يزيد عن الصمود والرفض؛ وبإمكاننا الانتقال من مربع ردة الفعل إلى صناعة الفعل، وأول الأفعال في مسيرة الصمود والرفض هي توحيد شطرى الوطن مجددا بمحددات وإرادة وطنية فلسطينية بعيدا عن التجاذبات الفصائلية والإقليمية والدولية وبواقعية تخلو من نرجسية الشعارات الجوفاء التي أوردتها الهاوية، وعلى أصحاب القرار السياسي في قطاع غزة أن يدركوا جيدا أن قضيتنا لم تكن يوما قضية إنسانية؛ ورفع الحصار عن غزة إن تم رفعه لن يسجل في التاريخ على أنه نصرا سياسيا فلسطينيا أو حتى فصائلي إذا ما ارتبط بوقف أو تجميد كل وسائل النضال الفلسطيني وأهمها السلمية؛ لأنه عندئذ سيكون نجاحا حقيقيا لإسرائيل وثمرة لسياسة إسرائيلية ناجحة استطاعت من خلالها إسرائيل ربط كل أنواع النضال السياسي الفلسطيني بما فيها الاحتجاج والتظاهر السلمى بما تمنحه لسان القطاع من حقوق الحياة الانسانية بحدودها الآدمية الدنيا.

وإطلاق تعبير تهدة على تفاهم من هذا النوع حتى وإن كان شفويا ولم يكن مدونا في محاضر اجتماعات ماراثونية هو استراتيجية عبث سياسي سيسدد ضربة استراتيجية كبيرة لمسيرة النضال الفلسطيني ويقزمه؛ وسيكون لها مستقبلا ما بعده إذا ما نجحت إسرائيل في تمرير تهدة من هذا القبيل لأن إسرائيل ستتبغ نفس السياسة الناجحة تلك في الضفة والقدس؛ ولن تعدم الوسيلة في إيجاد أكثر من غزة في مناطق الضفة.

ونجاح نموذج وقف النضال السياسي بتحقيق مطالب انسانية هو إنجاز استراتيجي كبير لإسرائيل سيكون له تداعيات كارثية على مستقبل النضال الفلسطيني للأجيال الفلسطينية القادمة، فإسرائيل التي لن تعطى أي فلسطيني أي حقوق سياسية مستحقة؛ ولن تفي بأي اتفاقات شفوية فهي التي لم تفي بالاتفاقات الموقعة؛ وهي تريد اليوم

تسجيل هذه السابقة مقابل وعود الوهم المؤقتة؛ والتي ستنتهي عندما تحقق مآربها وتستكمل تحصين حدودها مع القطاع بجدارها الإلكتروني الذكي الذي بات في مراحلہ الأخيرة والذي ربما سيتزامن الانتهاء منه مع وصول قطار تصفية القضية عبر التسوية الأمريكية القائمة إلى مراحل متقدمة تفرض على الأرض. وعلى أصحاب القرار السياسي في غزة أن يدركوا أنهم جزء لا يتجزأ من مسيرة النضال التراكمي الفلسطيني الجمعي في نظر اسرائيل حتى وإن اعتقد البعض واهمين غير ذلك وأن نتائج التجربة في غزة سوف تتعكس على تلك المسيرة بسلبياتها وإيجابياتها. إن ما يحدث اليوم هو أخطر بكثير مما يظن البعض على مستقبل الوجود السياسي الفلسطيني وعلى وحدة الشعب والقضية ووحدة تمثيله السياسي على أرض فلسطين لأنه سيتعداه إلى خطر يحدق بالوجود الفلسطيني المادي على هذه الأرض؛ ومن لا يرى هذا الخطر من المؤكد أنه منفصل كلياً عن الواقع أو أنه ينماهى مع ما يجرى ويخدع نفسه وشعبه وفي كلا الحالتين فهو أول من سيدفع الثمن ضمن الفاتورة الباهظة التي سيدفعها الكل الفلسطيني نتاج تمرير التسوية الأمريكية المعنونة بصفقة القرن. أستاذ علوم سياسة وعلاقات دولية